الوَكالةُ القاتمةُ
قراءةٌ نقديَّةٌ في التَّوظيفِ السياسيِّ للمنظَّمات غيرِ الحكوميَّةِ

■ د. مريم رضا خليل[1]

ملخّص

تُثار على المنظَّمات غير الحكومية عددٌ من الإشكاليَّات، وتحيط بها نظرة "سلبيَّة" توجِّه لها "الاتهامَ" بدلاً من الشعور بـ "الامتنان" لبرامجها الظاهرة في "التنمية والإغاثة". تدرس هذه الورقة تأثيرَ ارتباطِ بعض المنظَّمات غير الحكوميَّة ببرامج الدُّول المانحة و"الأجندات الخارجية" في نشوء النظرة "السوداويَّة" التي وَسمتْ بشكل عام تحليلَ دور المنظَّمات في تنفيذ برامج خفيَّة ذات آليات خاصَّة في اختراق المجتمعات المستهدفة، سواء عن قصد أو غير قصد. وتتوقَّف الورقة عند تأثير المزايا الثقافيَّة في تشكُّل هذه الرؤية والنظر للمنظَّمات بوصفها جزءًا من نسيج المجتمع الأصيل، أو جزءًا من آليَّات الحرب الناعمة في خدمة المصالح الخارجية، لدرجة احتمال الإسهام في عرقلة التغيير الحقيقي. فمع تسارع تطوُّر العولمة، تبرز علانية أدوار المنظمات "القاتمة" فيما يتعزَّز دورها باعتبارها فاعلاً "وكيلاً". ويحلِّل البحث حراك تشرين الأول من العام 2019، في لبنان، بوصفه حالة لدراسة التَّوظيف السياسي للمنظَّمات غير الحكومية في استهداف حركة المقاومة وممثلِّها السياسي في البرلمان اللبناني، "حزب الله"، ومقارنة فعاليَّتها بلحاظ دورها ما بعد معركة "أولي البأس".

الكلمات المفتاحية: المنظَّمات غير الحكوميَّة، الثورات الملوَّنة، ثقافة العولمة، التبعيَّة «المبطَّنة»، الوكالة القاتمة.

1 - دكتوراة في العلوم الاجتماعية، اختصاص اجتماع سياسي. أستاذة في كلِّية العلوم السياسية والعلاقات الدوليَّة في الجامعة الإسلامية. تشغل مركز باحث في مركز «يوفيد» للدراسات والأبحاث. عضو رابطة الخبراء والمحلِّلين السياسيِّين (APA)، بيروت.

المقدِّمة

ارتبطت نشأة المنظَّمات غير الحكوميَّة بمشاريع النِّظام الرأسمالي في مواجهة التيَّار الشيوعي في الـدول الأوروبيَّة. ونما دورهـا بفعل العولمة، بعدما غزت نظريَّـة الليبراليَّة الجديدة العالم. تؤكد الدِّراسات الحديثة اتِّساع الفجوة بين المجتمع المحلِّي والمنظَّمات غير الحكومية، وتفاقم أزمات الثِّقة والإشـكاليَّات الوظيفية؛ ما يسهم في تجذُّر رؤية «التوجُّس» منها مع مرور الوقت. والانتقادات تعمُّ العالم الغربي، كما العالم العربي. وتشير الدِّراسات إلى وجود إطار جدليٍّ بشأن تعليل معارضتها بـ«استبداد» أنظمة الحكم غير «الديمقراطية» فيها؛ أو رؤية المنظَّمات باعتبارها امتدادًا تسـويقيًّا فكريًّا لنتاج مراكز صناعة السياسـات الغربية، وأداةً في منظومة القوى الناعمة، وبابًا للتدخُّل الخارجي، وفي نظرة أكثر إشكاليَّة هي وجه آخر للمخابرات المركزيَّة الأميركية.

تتمحور الإشـكاليَّة في أسباب النظرة السـلبيَّة للمنظَّمات غير الحكوميَّة، وتفترض الدِّراسة أن ارتباط المنظَّمات بمشـاريع من خارج المجتمع المحلِّي يثير الذاكرة التاريخيَّة حول اختراق «النِّظام الرأسـماليِّ الليـبراليِّ» للمجتمعات «الشـيوعيَّة الهوى» في سـتينيَّات القرن الماضي، وتفكيـك الأحزاب والنقابات بُغية فرض «الهيمنـة الأميركية الليبراليَّة» على العالم. كما يفترض أن إسـقاط تلك التجربة على المجتمعات العربية والإسـلامية، وَسَـم المنظَّمات بما يمكن أن نطلق عليه: «تبعيَّة مبطَّنة أو خفيَّة»، علمًا أن الأدوار بدأت تتكشَّف في سياق تسارع تطوُّر آليَّات الاختراق السياسـية. يسـهم الاختلاف الثقافي والاجتماعي والسِّـياسي بين الطَّرف الخارجي والمحـلِّي إلى حدٍّ كبير في «التصادم» بين المنظَّـمات والمجتمع، خاصة عندما تخدم برامجها أهـداف الحرب الناعمة في اختراق المجتمعات التَّحرُّرية في سـياق تمرير سياسـات الجهات المانحة؛ ما يوفِّر بدوره التآكل الثقافيَّ و«المَسخ» الهُويَّتيَّ القِيَميَّ. تتوقَّف الورقة عند التَّوظيف السياسي للمنظَّمات في تمرير المشاريع الأميركية المناوئة للمشروع المقاوم في لبنان. وهنا، لا

بد من الإشارة إلى أن الورقة لا تفترض أن كلَّ المنظَّمات غير الحكومية هي أدوات في متناول يد السياسات الخارجية، بل تدرس تأثير سياسة المنظَّمات غير الحكومية في نشوء النظرة «القاتمة» تجاهها.

أوَّلًا: المنظَّماتُ غير الحكوميَّةِ.. المفهومُ والنشأةُ

١ - المفهومُ

يعترف المجتمع الدولي بأن بالمنظَّمات غير الحكوميَّة (Non-Governmental Organizations)، وتختصر بـ (NGOs)، وهي جهات فاعلة ناشطة الدَّور في سياق تطوُّر العلاقات الدوليَّة، بيد أنَّ تعريفها غير محدَّد أو مُحْكَم؛ لتنوُّع أدوارها واختلاف خصائصها ومصادر تمويلها. يُستخدم المصطلح لتحديد المنظَّمات التي يفترض أن تكون هيئات مستقلَّة متميِّزة ومنفصلة عن عالمَي الحكومة والأعمال التجارية؛ "غير حكوميَّة وغير ربحيَّة". فهي مجموعة تعمل بشكل مستقلٍّ عن أيِّ حكومة كيانات خاصَّة بالكامل تقوم بأنشطة التنمية في منطقة محدودة بموجب اتفاقيَّة مع الحكومة و/أو المنظَّمات الدولية[١].

تعرِّفها الأمم المتحدة بأنها أي منظَّمة خاصَّة مستقلَّة عن أيِّ إدارة حكوميَّة، لا تهدف إلى الرِّبح وليست جماعة إجراميَّة أو حزبًا سياسيًّا[٢].

يتنوَّع التَّعريف تبعًا للمجال، فيُعرِّفها علماء الاجتماع بلحاظ عَلاقتها بالمجتمع وأهدافها بتحقيق رفاهيَّة المجتمعات[٣]، بينما يركِّز علماء السياسة على دورها ومصالحها في الوساطة بين أفراد الشَّعب والحكومة. أما علماء الاقتصاد فيحتلُّ الموضوع الرِّبحيُّ والنَّفعيُّ الماديُّ الأولويَّة في قراءة المفهوم وتحديده. يعرِّفها خبراء البنك الدوليِّ بأنَّها منظَّمات خاصَّة مستقلَّة جزئيًّا أو كليًّا عن الحكومات، وتتَّسم بصورة رئيسة بأن لها أهدافًا إنسانية أو تعاونيَّة أكثر من كونها أهدافًا تجارية[٤]. ويتَّسم تعريف البنك الدوليِّ للمنظَّمات غير الحكوميَّة بالسعة؛ إذ يشمل

1 - Riad Makdissi, Ziad Kaddour & Selim Mekdessi: "Impact of funding difficulties on the Sustainability of Lebanese Non-Governmental Organizations», Volume 13, pp: 10-24.

2 - NGOs: "what they are, origin, how they are formed, classification, www.ferrovial.com.

3 -NGOs: "Introduction, History, Role, functions, Importance", www.sociologygroup.com.

٤ - أسماء فريد الرِّجال: "دور المنظَّمات غير الحكوميَّة في حماية الحقوق الاجتماعية".

أقدم المنظمات في العالم والكنائس، لكنَّ تعريف منظَّمة التجارة العالمية يفوقه سعة؛ فيشمل مجموعات اللُّوبي الصناعية مثل مؤسَّسة المصرفيِّين السويسريِّين وغرفة التجارة الدولية.

وتمثِّلُ المنظَّمات غير الحكوميَّة إحدى نقاط ارتكاز المجتمع المدنيِّ في علاقاته على المستوى المحليِّ والدولي، والمجتمع المدني هو الهيكل الاجتماعي الوسيط بين المجتمع والسلطة. ينظِّر له كلٌّ من الباحث السياسي (ستيبان -Stepan) (١٩٣٦- ٢٠١٧)، والباحث الاجتماعي (لينز-Linz) (١٩٢٦- ٢٠١٣)، بأنه "تلك الساحة من النظام السياسي حيث تحاول الجماعات والحركات والأفراد ذاتيَّة التنظيم، المستقلَّة نسبيًّا عن الدولة، التَّعبيرَ عن القيَم وتكوين الجمعيات والتضامن، والمضيَّ قدمًا بمصالحهم"[1]. ويتكوَّن من مجموعة من التنظيمات الاجتماعية الطَّوعيَّة التي لا ترتبط بالجهاز الحكومي، من قَبيل الجمعيات والأحزاب والنقابات والنوادي والمنظَّمات غير الحكوميَّة، فيتداخل عمل المنظَّمات مع المجتمع المدني إلى درجة تسميتها أحيانًا بـ "منظَّمات المجتمع المدنيِّ".

٢ - إشكاليَّاتُ الدَّور

ينطبق مصطلح «المنظَّمة غير الحكوميَّة»، في بعض البلدان، على المنظَّمات التي قد تسمَّى المنظَّمات غير الرِّبحيَّة (Non-profit organizations) في بلدان أخرى، والعكس صحيح. بعض المنظَّمات غير الحكوميَّة هي شركات ربحيَّة[2]. وهناك منظَّمات غير حكومية دوليَّة كبيرة تكون عابرة للحدود الوطنية تبعًا لحجمها ونطاق عملها، مثل: منظمة "العفو الدوليَّة"، والاتحاد الدوليِّ لجمعيات "الصليب الأحمر والهلال الأحمر"، و"أوكسفام" الدوليَّة (Oxfam International)، و"كير" (CARE)، و"أنقذوا الأطفال" (Save the Children)، و"صندوق الحياة البرِّية" العالمي.

تطرح هذه المجموعات قضايا متعدِّدة تتعلَّق بالتحدِّيات الاجتماعية والبيئيَّة والإنسانية والتنمويَّة؛ كالرِّعاية الاجتماعية والتعليم والقضايا الدينيَّة، بدءًا من مناهضة العبوديَّة وحقوق العمل وحقوق الإنسان، وحماية البيئة، وإغاثة الكوارث، ومساعدات التَّنمية، وحقوق المرأة

1 - Steven A. Cook: "The Real Reason the Middle East Hates NGOs", foreignpolicy.com.

2 - Margaret P. Karns: "nongovernmental organization", www.britannica.com.

وحقِّهـا في التصويت والمسـاعدات الإغاثيَّة في أثناء المجاعات، وصـولاً إلى القضايا العابرة للحدود الوطنية مثل نزع السلاح، وتغيُّر المناخ والفقر والاتِّجار بالبشر، وتعزيز التغيير الاجتماعي والديمقراطية والحوكمة. وقد مُنحت جائزة "نوبل" للسلام لعدد منها.

وعـلى الرغم من مركزيَّة العمل التطوُّعيِّ الخيريِّ غـير الحكومي في تعريفها، فإنَّها تتعرَّض للنَّقد على مدى فعاليتها ومسـاءلتها ومحاسبة منجزاتها بسبب ميزانيَّتها ومصادر دعمها. وعلى الرَّغـم من أنَّ القانون يلحظ "الخير العام" وعدم توخِّي الرِّبح الشـخصي لدى المنظَّمات، فإن عددًا منها تتلقَّى مسـتويات عالية من التمويل الحكومي، وتسعى إلى توليد الأرباح من السوق التي يمكنها إعادة استثمارها في عملها[1]، ومن أبرز الإشكاليَّات الناجمة:

أ. مصادر تمويل المنظَّمات، والارتباط ببرامج المصدر، والشفافية التي يجب أن تُظهرها في عمليَّات الإنفاق.

ب. انخراط بعضها، ولعلَّ «أغلبها»، في نشـاطات سياسـية إلى حد التدخُّل، من خلال التأثير، وصولاً إلى التغيير في الاستحقاقات المقصودة، كالانتخابات النيابيَّة، وتغيير الأنظمة، وإسقاط الحكومات.

ج. تأثُّر عمل المنظَّمات في المجتمعات التي تنشـط فيها الأحزاب السياسـية والطائفيَّة والمذهبيَّة؛ إذ يصعب الخروج من الدائرة التي تنتمي إليها.

د. يتضارب عمل المنظَّمات لصالح المجتمع المحليِّ مع جهة التمويل الخارجية.

هذه الإشـكاليَّات وغيرها محـطُّ جدل عدد من الباحثـين على اختلاف مدارسـهم الفكريَّة والسياسية[2].

٣ - لمحةٌ تاريخيَّةٌ حول النَّشأة

يعود تاريخ المنظَّمات غير الحكوميَّة إلى ثلاثينيَّات القرن التاسـع عشر. ومنذ عام ١٨٥٠،

1 - David Lewis: "Non-governmental Organizations, Definitions, and History", International Encyclopedia of Civil Society, https://doi.org/

2 - James McGann & Mary Johnstone: "The Power Shift and the NGO Credibility Crisis", www.globalpolicy.org.

جرى تأسيس كثير من المنظَّمات الخاصَّة غير الرِّبحيَّة. وفي عام ١٩١٠، اجتمعت نحو ١٣٠ مجموعة دوليَّة في هيئة تنسيقيَّة عُرفت بـ «اتحاد الجمعيَّات الدوليَّة». وتشير التقديرات إلى أنه بحلول عام ١٩١٤ كان هناك ١٠٨٣ منظَّمة غير حكوميَّة، وأغلبها تعمل في أوروبا وأمريكا الشمالية. وفَّر إنشاء عصبة الأمم في عام ١٩٢٠ منصَّةً للمنظَّمات غير الحكوميَّة الدولية للتعامل مع الحكومات في قضايا السياسة. ونشأت عدد من المنظَّمات الرئيسة التي تطورت مع الوقت، وأبرزها «لجنة الإنقاذ الدولية» (١٩٣٣) ، ومنظمة «فريدوم هاوس» (١٩٤١). وشهدت الجمعيات في الأعوام الأولى بعد الحرب العالمية الثانية طفرة نموٍّ كبيرة؛ بذريعة تأمين المساعدات للشعوب الأوروبية.

وفي العام ١٩٤٣، نشأ اتحاد المنظَّمات غير الحكوميَّة في الولايات المتحدة الأميركية، تحت عنوان «المجلس الأميركي للمؤسسات الأهليَّة للإغاثة». استُخدم مصطلح المنظَّمة غير الحكوميَّة لأوَّل مرة مع تأسيس منظَّمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥، للتمييز بين المنظَّمات الخاصة والمنظَّمات الحكوميَّة الدولية، مثل الأمم المتحدة نفسها. تضمَّنت الأخيرة بعض الوكالات المتخصِّصة (المنظَّمات غير الحكوميَّة) باعتبارهم مراقبين في جمعياتها[1]، وشركاء أساس في العَلاقات الدولية. وفي مؤتمر الأممِّ المتَّحدة الذي عقد في سان فرانسيسكو عام ١٩٦٨، وُضع بند في المادَّة ٧١ من الفصل العاشر الخاص بشأن الدَّور الاستشاريِّ للمنظَّمات ينصُّ على أن المنظَّمات غير الحكوميَّة العاملة في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية مؤهَّلة للحصول على وضع استشاريٍّ لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي.

ومنذ سبعينيَّات القرن العشرين، انتشرت المنظَّمات غير الحكوميَّة، على كلٍّ من المستوى الوطني والدولي. فقد تسارع نموُّها بعد الحرب العالمية الثانية بشكل كبير، وتأسَّست نحو تسعين منظَّمة غير حكوميَّة دوليَّة كل عام، مقارنة بما يقارب عشر منظَّمات سنويًّا في تسعينيَّات القرن التاسع عشر، حتى قارب العدد زهاء ستة آلاف منظَّمة معترف بها، بحلول أوائل القرن الحادي والعشرين[2].

1 - NGOs: “what they are, origin, how they are formed, classification”. www.ferrovial.com.

2 - Abey Francis: “History and Development of Non-Governmental Organizations (NGOs)”, www.mbaknol.com.

ثانيًا: صعودُ الليبراليَّةِ وطفْرةُ نموِّ المنظَّماتِ

١ - احتواءُ المدِّ الشيوعيِّ

نشـأت المنظَّمات غـير الحكوميَّة وتطـوَّر دورها مع الوقت في سـياق صعـود الليبراليَّة ومواجهة الحركات اليساريَّة الشـيوعيَّة، والنقابات العمَّالية التي باتت تشكِّل تهديدًا سياسيًّا واضحًا للنُّخب الاقتصادية، والطَّبقات الحاكمة، وأصحاب رؤوس الأموال. وارتبط تأسيس المنظَّـمات وعملها بتمثيل مصالـح الحكومة الأميركيـة، وتطوَّر مع الوقـت في تعزيز نشر «الليبراليَّة الجديدة»[١]. تأسَّسـت "لجنة الإنقاذ الدوليَّة" لمسـاعدة معارضي (هتلر - Hitler) المناهضـين للنازية، ومنظَّمـة "فريدوم هاوس" لدعم خطَّة "مارشـال"[٢] منعًا من اسـتيلاء الشيوعيِّين على أوروبا الغربية؛ المنظَّمة التي لها تاريخ طويل في إدارة وتعيين كبار المخطِّطين والموظَّفين السابقين في وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأميركية. كما تأسَّست في الفترة نفسها لجنة أوكسفورد لـ "مكافحة المجاعة" (١٩٤٢) في المملكة المتحدة؛ اللجنة التي عُرفت فيما بعد وتُعرف بـ (أوكسفام)[٣].

ركَّزت هذه المنظَّمات عملها في سـاحات التنافس اليسـاريِّ الليبراليِّ، كاليونان وإيطاليا ويوغوسـلافيا. كانت الجماعات اليسـاريَّة ناشطة في اليونان، على سـبيل المثال، وشكَّلت

---

١ - نظريَّة في الممارسات السياسية والاقتصادية تقوم على «حماية حقوق الملكيَّة الخاصَّة وحرِّيَّة التِّجارة وحرِّية الأسواق الاقتصادية. طرحت في السبعينيَّات إثر التحوُّلات التي طاولت النِّظامَ الاقتصادي والسياسي بعد الحرب العالمية الثانية، والخوف من تهديد اقتصادي مماثل لكساد الثلاثينيَّات، والخوف من ظهور المنافسات الجيوسياسيَّة، والحاجة لمنع تهديد النظام الرأسمالي، وتهديد النخب الحاكمة من الطبقات الشعبية والنقابات العمَّالية.

٢ - خطَّة مارشال (١٩٤٧): خطَّة اقتصادية أُطلقت بمبادرة من وزير الخارجية الأميركي الأسبق جورج مارشال، باعتباره برنامجًا للمساعدة في إعادة بناء أوروبا الغربية التي مزقتها الحرب العالمية الثانية وبناء اقتصاداتها من جديد. وشكَّلت البداية السياسية للحرب الباردة، بل «أداة الحرب الباردة» كما وصفها هنري والاس، نائب رئيس الولايات المتحدة، فرانكلين روزفلت (١٩٤١-١٩٤٥). وبموجب الخطَّة، لم يتلقَّ الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية أيَّ مساعدة، بل كان أحد شروط الخطة منع الشيوعيين وقوى اليسار الأخرى من دخول حكومات البلدان المتلقِّية للمساعدات.

٣ - حسن جوني: «المنظَّمات غير الحكوميَّة وانعكاسها على الواقع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان"، www.lebarmy.gov.lb.

ســاحة تنافس قويَّة بين الكومنولث البريطاني[١] وألمانيا، لا سيما خلال حملة البلقان[٢]. ثم شــهدت اليونان صراع القوى الليبراليَّة اليساريَّة، فاندلعت حرب أهليَّة طاحنة؛ استمرَّت زهاء ثلاث سنوات (١٩٤٦-١٩٤٩) بين جيش الحكومة اليونانيِّ المدعوم من بريطانيا والولايات المتحدة والجيش الديمقراطيِّ اليونانيِّ، وهو الجناح العســكريُّ للحزب الشــيوعيِّ اليوناني بدعم من يوغوســلافيا وألبانيا وبلغاريــا[٣]. وخلال تلك الحروب، نشــطت المنظَّمات غير الحكوميَّة باســم تقديم المعونات والإغاثات وتخفيف تداعيات المجاعة المترافقة، لا سيَّما منظَّمة"أوكســفورد".

وينظــر بعض العلماء إلى المنظَّمات الدوليَّة، والمســاعدات الاقتصادية الغربية، والكنيســة الكاثوليكيَّة باعتبارها "محفِّزات للتحوُّل الديمقراطي" مقابل الكتلة الشيوعيَّة، فيما يزعم آخرون أن معايير حقوق الإنســان الدولية التي طُرحت كانت سببًا في إحداث تغييرات سياسية جوهريَّة أدَّت إلى زوال الشــيوعيَّة[٤]. وهناك قســم يصــوِّب مباشرة على أن صعــود المنظَّمات نجم عن الحاجة لها في تحقيق الهيمنة الأميركية ودعم سياساتها في احتواء السياسات "السوفييتيَّة" والتيَّار الشيوعي، وليس مجرد اســتجابة للمبادرات المحلِّية والأعمال التطوُّعيَّة، في مواجهة الظروف الطارئــة والكوارث، فصعود المنظَّمات ســببه أعمق مــن القول بمرونتها بعيــدًا عن التعقيدات السياســية. وبينما يذهب فريق آخر للقول: إن المنظَّمات غير الحكوميَّة ليست سياسية، ويتبنَّى رأي آخر وجود دوافعَ ثوريَّة لانتشــار المنظَّمات غير الحكوميَّــة وتنامي دورها في ظلِّ ما أُطلق عليه "أزمة دولة الرفاهية" التي جسَّدت لشعبها قصورَ إمكانات الدولة وتقلُّص نفوذها في توفير الرعاية والرفاهية لشعبها[٥].

---

١ - الكومنولث البريطاني، ويعبر عنه بدول الكومنولث أيضًا. هو اتحاد سياسي يضمُّ ٥٦ دولةً عضوًا، جميعها تقريبًا أقاليم تابعة للإمبراطورية البريطانية؛ ترتبط مع بعضها لغة وتاريخًا. تأسَّس مع وعد بلفور ١٩١٧، وشُرِّع رسميًّا ١٩٣١.

٢ - شنَّت قوَّات المحور (روما_ برلين_ طوكيو) حملة البلقان (١٩٤٠-١٩٤١) على يوغوسلافيا واليونان خلال الحرب العالمية الثانية، وانتهت باستيلاء القوات الألمانية والإيطالية على جزيرة كريت اليونانية.

3 - Nikos Marantzidis and Giorgos Antoniou: "The Axis Occupation and Civil War: Changing trends in Greek historiography, 1941–2002". pp: 223-231.

4 - Sreeram Chaulia: "Democratisation, NGOs and «colour revolutions", www.opendemocracy.net.

٥ - أسماء فريد الرِّجال: «دور المنظَّمات غير الحكوميَّة في حماية الحقوق الاجتماعية».

٢ - الاختراقُ الليبراليُّ واستثمارُ العولمة

رافقَ ظهورُ المنظَّمات غير الحكوميَّة تطوُّر الفكر السياسي والاقتصادي في مواجهة تحدِّيات تحـوُّلات النِّظام الـدولي وتعقيداتها. نشـط عمل المنظَّـمات غير الحكوميَّة خلال سـتينيَّات وثمانينيَّات القرن العشرين في ذروة الانقسـام الأيديولوجي بين الشَّرق والغرب في أثناء الحرب البـاردة. وعكس تطوُّرها حـروب الليبرالية الجديـدة في العصر الحديث، وخاصـة بعد الثَّورة الصناعية. فالليبرالية الجديدة لا تقتصر على الممارسات السياسية والاقتصادية، وإنما يستتبعها كثير من «التدمير الخلَّاق» كما يصطلح عليه صاحب كتاب «الليبراليَّة الجديدة موجز تاريخي»، (ديفيد هارفي -Harvey) في مشروع اسـتعادة "السلطة الطبقيَّة" والحفاظ على رؤوس الأموال وتكديسـها لدى الطبقـات العليا[1]. فهي تضع كلَّ صيغ الفعل الإنسـاني ضمن حيِّز السـوق، وتشكِّل بديلاً للقيم الأخرى، فتدمِّر تقسيمات العمل والعلاقات الاجتماعية وخدمات الرعاية، وطريقة الحياة والتفكير والتكاثر والعادات والشعور والوجدانيَّة، وتجعل من فكرة الحرِّية "دونية" تنحطُّ إلى مجرد الدفاع عن حرِّية العمل التجاري.

وقد شـكَّلت المنظَّمات غير الحكوميَّة النواة الصلبة لانتشـار الليبرالية المتحرِّرة وأفكارها، حتى بات دورها مع الوقت يؤهلها للاتِّصاف بما يمكن تسميته بـ "وكلاء التغيير". وتَرافَق إنشاء هذه المنظَّمات مع عمل الإرساليَّات الكاثوليكية والبروتستانتيَّة، خصوصًا في أفريقيا وآسيا، دول العالم الثالث، في المجالين الصحِّي والتربوي، والتي كانت بأغلبيتها مسـتعمرات تابعة للدول الصناعية قبل اسـتقلالها. وفقًا (لصامويل هنتنجتون -Huntington)، برز عامل مهم في سياق "الموجة الثالثة" من التحوُّل الديمقراطي ــ التي بدأت عام ١٩٧٤، واسـتمرَّت ٢١ عامًا ــ وهو التحوُّل الكبير في سياسات الولايات المتحدة نحو تعزيز «حقوق» الإنسان و«الديمقراطيَّة» في سـياق صعود الليبراليَّة الجديدة، ما دفع لاسـتخدام المنظَّمات غير الحكوميَّة لإنجاح مصالح السياسة الخارجية وتغيير الأنظمة المناوئة[2]. تطوَّر عملها مع انتهاء الحرب الباردة عقب سقوط الاتحاد السوفياتي (١٩٩١) في سياق إعادة هيكلة الدولة ونشر العولمة، ليزداد تأثيرها مع تسارع

---

١ - ديفيد هارفي: الليبراليَّة الجديدة (موجز تاريخي)، ص.ص ٢٥-٤٥.

2 - Sreeram Chaulia: "Democratisation, NGOs and colour revolutions". Ibid, www.opendemocracy.net.

العولمة (١٩٩٠-٢٠١٠)؛ بذريعة أن كثيراً من المشكلات لا يمكن حلُّها داخل الدولة الواحدة[١].

أسهمت العولمة في تضخيم دور المنظَّمات؛ فقد دفعت ثورة الاتِّصالات باستراتيجية نشر «الديمقراطية» قدمًا، باعتبارها نموذجًا للمجتمعات الأخرى عبر تعزيز المجتمع المدني وتمكين الأفراد من تشكيل المنظَّمات وتشغيلها بحرية أكبر. وشكَّلت المنظَّمات بشبكاتها المحلِّية والدوليَّة جزءًا من تعريف العولمة بمعناها السياسي الذي يعني الاتجاه المتواصل نحو تعدُّدية تُؤدِّي فيها المنظَّمات الدوليَّة دورًا رئيسًا لتشكيل بنية عابرة للقوميَّات، وظهور شبكة من المنظَّمات غير الحكوميَّة المحلِّية والدولية التي تراقب عمل الحكومات وتؤثِّر فيه[٢].

برزت العولمة وتدفَّقت تيَّاراتها؛ بغية بسط هيمنة النِّظام الرأسمالي وقِيَمه المادِّية في الحرِّية الفرديَّة والحقوق وربط المجتمعات بثقافة "امتياز الأمركة" في سياق "صراع الحضارات"، وإخضاع الجميع لسياسة القطب الأوحد؛ الولايات المتحدة الأميركية. وتشكَّلت المنظَّمات إحدى أدوات العولمة السياسية عبر تعزيز ما يُعرف بـ"ثقافة العولمة"، أي الإطار المعرفي الذي يؤمِّن مقبوليَّة الشعوب للنظام الرأسمالي ليس عبر الإخضاع، وإنما التكيُّف مع الانخراط الطَّوعي كما تفرضه الثقافة الأميركية[٣]. ومع دخول المنظَّمات معترك العولمة السياسية في سياق ثقافة العولمة، باتت المنظَّمات تشكِّل عنصرًا أساسًا في عمليَّة صنع القرار في العالم؛ ما يتَّضح من خلال الثورات الملوَّنة.

ثالثًا: المنظَّماتُ غير الحكوميَّةِ والثَّوراتُ الملوَّنةُ

١ - المنظَّماتُ محرِّكُ الثَّوراتِ

تعدُّ المنظَّمات غير الحكوميَّة الحاضنة المركزيَّة لإطلاق ما عرف باسم «الثَّورات الملوَّنة» (Color Revolution). ويفيد مصطلح الثَّورة الملوَّنة معنى الاحتجاج أو الهبَّات الشعبية ضدَّ السلطات المحلِّية أو الحكومات، مع شعارات تطالب بإجراء إصلاحات سياسيَّة واقتصاديَّة،

1 - Abey Francis: "History and Development of Non-Governmental Organizations (NGOs)". Ibid, www.mbaknol.com.

٢ - وليد عبد الحي: انعكاسات العولمة على الوطن العربي، ص٣٣.

٣ - أحمد فرج: العولمة والإسلام والعرب، ص٣٩.

وثقافيَّـة. أما وصفها بأنها "ملوَّنة" فهو لاسـتخدامها الرُّموز والألوان والأعلام والزُّهور. وهي لا تعني الانقلاب الشعبي الجذري والشامل والواسع الذي يعطي "الثَّورة" (Revolution) معناها، كما لا يصحُّ وصفها بـ"الحراك الشعبي" (Social Action)؛ لأنَّها ليست اعتياديَّة يوميَّة، بل حركة تكسر "النَّمط" السَّائد أو "الجمود" الموجود، وهي أقرب إلى الانتفاضة (Uprising).

تُعرَّف الثَّورة الملوَّنة بأنَّها اسـتراتيجية إسقاط الأنظمة والحكومات بطريقة سلميَّة من خلال اعتماد الأنشطة غير العنفيَّة المنظَّمة، والمقاومة السلبيَّة، والأسلحة النفسيَّة، والحملات الدعائيَّة الاجتماعيَّـة والاقتصاديَّـة. وتطبِّق ذلك وفق عقيـدة الفوضى الخلَّاقة، معتمـدة على منظَّمات المجتمـع المدني والمنظَّمات غـير الحكوميَّة في تنظيم الجماعات المعارضـة ودفعها باتجاه تقويض مشروعيَّة المسـتهدف، سواء أكانت حكومة أم نظامًا أم حتى شخصيَّة سياسيَّة أو كيانًا، بدلاً من تمكين المواطنين وتحويل الطاقة الجمعيَّة لأي ثورة إلى قوة شعبية منظَّمة ومعتدلة[1].

ويمثِّل التاريخ المعاصر حقبة خصبة للموجات المتلاحقة من "الثَّورات الملوَّنة"، وتحديدًا في مرحلـة الثمانينيَّات من القرن الماضي، واللافت أن انطلاقتها تمركزت في الدول الشـيوعيَّة، وحصلت جميعها في دول تعدُّ حكوماتها غير صديقة للولايات المتحدة أو سياساتها باتت تعدُّ تهديدًا أو تحدِّيًا للسياسة الأميركية. ويعدُّ البروفيسور الأميركي، (جين شارب-Sharp)[2]، منظِّر هذه الثورات التي حفل بها القرن الواحد والعشرون في دول وسط وشرق أوروبا ووسط آسيا، ما بعد الشيوعية منذ عام ١٩٩٩، باسم "التحوُّل الديمقراطي"، خدمة لمصالح السياسة الخارجية الأميركية وأولويَّاتها (التوسُّـع الاسـتراتيجي، وأمن الطاقة، والحرب ضد الإرهاب).[3] شهدت تلك الدول سلسـلة من "الثورات الملوَّنة"؛ حلقتها الأولى في الفليبِّين مع "الثَّورة الصفراء" عام ١٩٨٦؛ ثمَّ تتالت في دول الاتحاد السوفياتي سابقًا وأوروبا الشرقية. وانتقلت إلى العالم العربي

1 - Orysia Lutsevych: How to Finish a Revolution: Civil Society and Democracy in Georgia, Moldova and Ukraine, P: 2.

٢ - جين شارب (١٩٢٨-٢٠١٨)، سياسي وأكاديمي أمريكي. درَّس المبعوثين من أوروبا الشرقيَّة ودول العالم الثالث أساليب إسقاط الحكومات. لخَّص نصائحه لثوَّار بورما عام ١٩٩٢؛ لإسقاط النِّظام في كتيِّب بعنوان «من الديكتاتوريَّة إلى الديمقراطيَّة»؛ اعتمدته المخابرات الأميركيَّة دليلَ الثَّورات الملوَّنة.

3 - Sreeram Chaulia: "Democratisation, NGOs and colour revolutions". Ibid, www.opendemocracy.net.

ودول منطقة غرب آسيا[1] تحت عنوان نقل "أصول الديمقراطيَّات"، ومعظمها بفعل الفرض والتدخل المتعمد من الخارج، عبر مراكز أبحاث أميركية خاصة متخصصة ببرامج التَّدريب والدَّعم والتخطيط والتَّنفيذ برعاية وإشراف المخابرات الأميركية، مثل معهد "كانفاس" للتَّدريب في بلغراد، ومركز "ألبرت أينشتاين" في الولايات المتَّحدة [2] .

• آليَّاتُ عملِ المنظَّماتِ في الثَّوراتِ

تؤمِّن عمليات التَّدريب للمنظَّمات غير الحكوميَّة ونشطاء المجتمع المدني إمكانية ممارسة التَّلاعب النفسي بالجماهير. وتُستخدم مجموعة من الوسائل؛ مثل أمن المعلومات ووسائل التواصل الاجتماعي و«تحليل الشبكة الاجتماعية» للتأثير في الخطاب العام، بهدف تحقيق الأهداف المرجوَّة دون تصادم أو احتكاك مع الشرائح المستهدفة بطرح ما هو حاد أو ما يؤدي إلى تنافر؛ العملية المعروفة بـ «الهندسة الاجتماعية»[3]. وعلى العكس من الهجوم المباشر على عناصر مستفزَّة كالهُويَّة والعرق والدين والطائفة، تعمل الهندسة على إفراغ "البروفايل" من الجوهر البيومتريِّ له عبر ضرب النَّماذج وتشويهها بطريقة غير مباشرة تؤدِّي بالنتيجة إلى تهاوي المعتقدات والتقاليد والسِّمات المستهدفة بشكل تلقائيٍّ وذاتيٍّ، أوتوماتيكي ومتدرِّج مع الوقت.

تدعم المنظَّمات الثورات الملوَّنة في كسب النخب المحلِّيَّة التجارية والسياسية باستمالتها إلى الأفكار والنماذج الغربية، من خلال المؤتمرات والنَّدوات والمساعدات والبرامج الفنِّيَّة، وبرامج التبادل والزوَّار مع النخب التي ترعاها وزارة الخارجية. موَّلت منظَّمة "فريدوم هاوس"، مركز المحافظين الجدد، ومؤسَّسة سوروس والوكالة الأميركية للتنمية الدوليَّة (USAID)، والثَّورات الملوَّنة في دول أوروبا الشرقية. دفعت ملايين الدولارات في تمويل المنظَّمات غير

---

١ - شهد العالم مجموعة من "الثورات الملوَّنة": تشيكوسلوفاكيا "الثورة المخمليَّة" (١٩٨٩م)؛ يوغوسلافيا "ثورة الجرَّافة" (٢٠٠٠م)؛ جورجيا "الثورة الورديَّة" (٢٠٠٣م)، أوكرانيا "الثورة البرتقاليَّة"، وقيرغيزستان «ثورة الزَّنبق»، ولبنان «ثورة الأرز»؛ والكويت «الثورة الزرقاء» (٢٠٠٥م)؛ «إيران الحركة الخضراء» (٢٠٠٩م)؛ ومع ما سُمّي بـ «الربيع العربيِّ» (٢٠١١م)، شهدت تونس «ثورة الياسمين»، ومصر «ثورة اللوتس»، والبحرين «ثورة اللؤلؤة».

٢ - يكشف الفيلم الوثائقي التاريخي "كيف تصنع ثورة؟" لمراسل «بي. بي. سي» في القاهرة، روريد أرو، التحوُّل في منطق الحرب لدى الولايات المتحدة الأميركية، ويوثِّق دور شارب قبل سنوات عدَّة من انطلاق الحراك وعلاقاته مع قادة في "ربيع" العرب في مصر وسورية. راجع: سعيد محمد: "كيف تصنع ثورة؟ ... سيرة مُلهم الثورات الملوَّنة".

3 - Thomas Elkjer Nissen: Social media's role in 'Hybrid Strategies', stratcomcoe.org.

الحكومية المحلِّية لدعم مرشــح دون غيره وتغيير الأنظمة، فاستثمر ما لا يقلُّ عن مليوني دولار في ثــورة التُّوليب، وبنحو ١٤ مليون دولار في الثَّورة البرتقاليَّــة وفقًا لتقدير الحكومة الأميركية. تغطي المنظَّمات غير الحكوميَّة عمليَّات التدخُّل الأميركي في الأزمات لمنع تداعيات التدخُّل المباشر من اســتفزاز وانتهاك قواعد دبلوماســية، بالتعاون مع فريق مــن المتدرِّبين والخبراء في الحرب السياسية والدبلوماسية العامَّة والدعاية من معهد البحوث والدِّراسات الدولية والخدمة الخارجية الأميركية والجيش الأميركي.

رابعًا: المنظَّماتُ غير الحكوميَّة والتَّوظيفُ السياسيُّ

١ - التدخُّلُ السياسيُّ وفرضُ الهيمنةِ الأميركيَّة

تطوَّرت الحروب في العصر الحديث، وانتقلت من الميادين الخارجية إلى السياسات الداخلية ومن الــصراع الجغرافي إلى الصِّراع على النُّفــوذ الداخلي. وتطوَّرت آليَّات السياســة الخارجية الأميركية في تعزيز المصالح الوطنية الأميركية بالاســتفادة من مجموعة أدوات «اختراق» للدول المتنافســة معها، من قَبيل المساعدات المالية، والمســاعدات الفنِّية، والمنظَّمات الدولية، وفقًا لنظرية «الاختراق غير الرسمي» التي صاغها (أندرو سكوت-Andrew Scott) (١٩٦٥). وسبق أن وصفت الباحثة والنَّاشطة السياسية (سوزانا أروندتاي روي-Arundhati Roy) (١٩٦١) التحوُّل الذي أصاب عمل المنظَّمات بأنه بمنزلة عملية تســلُّل إلى العالم، بسلاح مليارات الدولارات، وجذب "الثوَّار المحتملين" والفنَّانين والمثقَّفين بلطف بعيدًا عن المواجهة المتطرِّفة، في سياق تنامي مؤشِّر زيادة الدمار الناجم عن الليبراليَّة الجديدة على زيادة عدد المنظَّمات غير الحكومية وطفرة نموِّها[1].

انتقــل دور المنظَّمات إلى الصَّدارة عندما أنشــأت إدارة الرَّئيس (ريغان-Reagan) (١٩٨١-١٩٨٩) الصندوق الوطنيَّ للديمقراطية (١٩٨٣) للتغطية على فضيحة تلاعب وكالة المخابرات المركزيَّة الأميركية الدولية في زعزعة اســتقرار الحكومات المعادية من خلال تمويل المعارضة. فقد تعاونت وكالة الاســتخبارات المركزيَّة في خمسينيَّات القرن العشرين مع منظَّمة "الأصدقاء الأميركيون للحرِّية الروســية" الداعمة للفارِّين والمهاجرين والمنشقِّين عن الكتلة الشيوعية في

1 - Dinyar Godrej: NGOs - do they help?, newint.org.

سياق الحرب الباردة لتقويض الدول الشُّيوعيَّة، وخاصة الاتحاد السوفييتي[١].

وأُنشِـئ الصُّندوق الوطنيُّ للديمقراطيَّة باعتباره أداة أكثر تحفُّظًـا وأقلَّ إثارة للجدل؛ بعنوان الترويج للديمقراطية الأميركية للتعمية على تدخُّل الاسـتخبارات في تقويض الأنظمة؛ ما شكَّل منعطفًا تاريخيًّا في بروز المنظَّمات غير الحكوميَّة وظهور دورها في نشر "الديمقراطية" الأميركية وتعزيزها حول العالم. عمل الصُّندوق بوصفه مؤسَّسة شبه حكومية على ضخِّ التمويل الحكوميِّ الأميركيِّ من خلال المنظَّمات غير الحكوميّة، مثل المعهد الديمقراطي الوطني للشؤون الدولية، والمعهد الجمهوري الدولي، والمؤسسة الدولية للأنظمة الانتخابية، ومجلس البحوث والتبادل الـدولي، ومنظمة "فريدوم هاوس". وقد أقرَّ أوَّل رئيس للصنـدوق الوطني للديمقراطية، (ألين وينشتاين-Allen Weinstein)، علنًا بأنَّ كثيراً ممَّا يقوم به الصندوق من مهامَّ كان يجري بشكل سرِّي منذ خمسة وعشرين عامًا بواسطة وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأميركية[٢].

وقد لفت الكاتب (ديفون دوغلاس بوير-Devon Douglas Bower) إلى الدور والغطاء الذي تقدِّمـه المنظَّمات ومن خلفها الصنـدوق؛ نتيجة انخراطها أكثر فأكـثر في المنظومة الإمبريالية للسـيطرة والاسـتغلال، وتمثيلها للبعثات "الإمبرياليَّة"[٣]. فمنذ تأسـيس وكالة الاسـتخبارات المركزيَّـة عـام ١٩٤٧، تعاونت مع عـدد كبير من المؤسَّسـات الأميركية خـارج البلاد، والتي تدعـم وتموِّل المنظَّمات غـير الحكوميَّة[٤]، باعتبارها خطوة ضروريَّـة لتطوير التعاون معها؛ إذ إن "أجهزة الاسـتخبارات الأميركية تعمل في مناطق النِّزاعات جنبًا إلى جنب مع المنظَّمات غير الحكوميَّـة؛ لأن المعلومات التي توفِّرها المنظَّمات غـير الحكوميَّة تعدُّ حيوية في عملية اتخاذ القرار السـياسي"[٥]. وفي سـياق عمل الصُّندوق تحت شـعار نشر الديمقراطيـة، دعمت إدارة الرئيس (ريغان) بكبار أعضائها إنشـاء فرع "المؤسَّسـة الأميركية للمقاومة الدولية" (AFRI) في

1 - James Brown: Resistance International: Soviet Dissidents, US Conservatives, and Cold War Anti-Communist Internationalism, 1983-93. Tandfonline. pp:559–82.

2 - The CIA's successors and collaborators: US: overt and covert destabilization, mondediplo.com.

3 - Devon Douglas-Bowers: NGOs: Missionaries of Empire, www.foreignpolicyjournal.com.

4 - W. E. DemMars: Hazardous Partnership: NGOs and United States Intelligence in Small Wars. pp 193–222.

5 - Ellen B. Laipson: Can the USG and NGOs Do More? Information-Sharing in Conflict Zones. Vol. 49 No. 4, www.cia.gov.

الولايات المتَّحدة عام ١٩٨٤، وهدفها تنسيق جميع الأنشطة المناهضة للشيوعية في جميع أنحاء العالم[١]. فشكَّلت المنظَّمات غير الحكوميَّة أدوات برامج "تعزيز الديمقراطية" في مختلف البلدان الشُّيوعيَّة سابقًا، بل أصبحت جزءًا من المشهد السياسي في عدد من الدول في مختلف أنحاء شرق ووسط أوروبا وأوراسيا، كما أصبحت روابطها بالمجموعات الأجنبية قويَّة[٢].

تَعزَّز دور المنظَّمات مع طرح (جوزف ناي- Joseph Nye) لمفهوم القوَّة الناعمة، العام ١٩٩٠، الأقل تكلفة والأكثر فعاليَّة من القوَّة العسكرية الصلبة لدعم السياسة الخارجية في الهيمنة العالمية. فقد حثَّ (ناي) الولايات المتحدة على زيادة استثمار الثَّقافة والأيديولوجيا الأميركية في المؤسَّسات والأنظمة الدولية؛ بما يمكن أن يؤدِّي إلى إدامة الزَّعامة الأميركية في القوَّة العالمية. واستجابت إدارة الرَّئيس (بيل كلينتون- Bill Clinton) (١٩٩٣-٢٠٠١) لاستخدام المؤسَّسات الدولية والإقليميَّة في تعزيز الغايات الإستراتيجية دون الظهور بمظهر من يحاول الهيمنة على الآخرين. واتخذ عمل المنظَّمات طابعًا منهجيًّا مؤسساتيًّا أكثر وضوحًا وتنظيمًا بالاستفادة من التحوُّل العالمي المتميِّز بالثَّورة التِّقنيَّة والتكنولوجية في توسيع نطاق تأثيرها وتحقيق مهامها في عملية التغيير العالمي وتوجيهه[٣]. وقد استثمرت آليَّات الحرب الناعمة الخفيَّة وغير المباشرة من قبل المنظَّمات غير الحكومية في تطوير عملها وتحقيق الأهداف المنشودة، دون أن تقع مسؤولية على وكالة الاستخبارات الأميركية أو حتى الحكومة نفسها.

بَيْدَ أنَّ الزَّعامة الأميركية القائمة على سياسات "تعزيز" الديمقراطية عبر العالم لنشر الليبراليَّة الجديدة اصطدمت بالازدواجيَّة الأميركيَّة في العلاقة مع الأنظمة غير الديمقراطية التي تؤمِّن لها أو تخدم في تحقيق الأمن الأميركي والمصالح الاقتصادية. هذه الازدواجيَّة و"الانتقائيَّة" في استخدام "المعايير" استخدمت ما بعد الشيوعية في تمرير سياسة "الحرب ضد الإرهاب". وأصبحت برامج نشر الديمقراطية واجهة الدول الاستعماريَّة لعملية تمويل المنظَّمات غير

1 - James Brown: Resistance International: Soviet Dissidents, US Conservatives, and Cold War 'Anti-Communist Internationalism, 1983, p.93.

2 - John Glenn: Democracy Assistance and NGO Strategies in Post-Communist Societies, carnegieendowment.org.

3 - Rob Acker: Five ways the Fourth Industrial Revolution will transform NGOs, www.weforum.org.

الحكوميَّة، في البلدان التي كانت سابقًا، في الأمس البعيد أو القريب، هدفًا للاحتلال الاستعماريِّ المباشر، وهي الآن هدف للاستعمار الحديث[١]. ويكشفُ تقرير صادر عن وكالة الاستخبارات الأميركيـة، أن الوكالة تقف خلف شـبكة من المنظَّـمات غير الحكوميَّة، ففي العقود الخمسـة السابقة، تحرَّكت وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأميركية بشكل غير مكشوف تقريبًا، تحت غطاء المنظَّمات غير الحكوميَّة، مثل وكالة التنمية الدوليَّة[٢] .(USAID)

٢ - التوظيفُ المباشرُ والعلنيُّ في لبنانَ

ظهـرت المنظَّمات غير الحكومية اللبنانية في فترة الحـرب الأهليَّة اللبنانية التي بدأت العام ١٩٧٥، ونشـطت على مسـتوى تقديم خدمات التَّعليم والرعاية الصحِّيـة والاجتماعية، لكنَّها ارتبطت بالطوائف والأحزاب في ظلِّ ضعف الدولة اللبنانية ما بعد الحرب الأهليَّة، وخصخصة اقتصادها، وتنامي متطلِّبات الشعب. وانخرطت المنظَّمات في المشاريع السياسية والإعلامية، إثر طفرة التَّمويل بعد حـرب تموز عام ٢٠٠٦ على لبنان؛ خدمةً للمصلحة الأميركية في الشرق الأوسـط بحماية الكيان المؤقَّت. وشـهد لبنان في العقد الثَّاني من الألفيَّة الثانية طفرةً في عدد المنظَّمات غير الحكوميَّة المموَّلة من صناديق معظمها أوروبية وأميركية، رسمية وخاصة؛ بعنوان ملء فراغات مسـؤولية الدولـة اللبنانية في معالجة الأزمات المعيشـية. أدَّى الحصار الأميركي الاقتصادي على لبنان إلى مجموعة أزمات ماليَّة ومصرفيَّة[٣] زادت الأعباء على الحكومة اللبنانية التـي تفاقمت تداعياتها، إثر أزمة النُّزوح السـوري، وعقب انفجار مرفأ بيروت (٤ آب ٢٠٢٠). وقد ارتفع عدد المنظَّمات غير الحكوميَّة في لبنان من ١٣٠٢ منظَّمة في العام ٢٠٠٠ [٤] إلى أكثر

---

١ - هادي قبيسي: الأدوار الخفية للمنظمات غير الحكوميَّة، almaarefcs.org.

2 -Patrick Henningsen: MIDDLE EAST: The CIA Operating behind a Web of "Pro-Democracy" NGOs. Strange Bedfellows: How the U.S. and Egypt control the destiny of the region, www.globalresearch.ca.

٣ - لجأت واشنطن إلى مجموعة دعاوى ضد مصارف لبنانية بحجة دعمها حزب الله؛ محاولةً كسب التعويضات لمصلحة إسرائيل، وفق شهادة حاكم مصرف لبنان الذي أكَّد عدم علاقة ذلك بملف العقوباتَ الأميركية. كما نقلت صحيفة النهار عن المحامي بول مرقص، أن تلك الدعاوى وإن كانت مستندة على قانون مكافحة الإرهاب تأتي بخلفية سياسية مغرضة، سعيًا لمكاسب مالية. (الاخبار، النهار، الديار والمستقبل ٥ و٦ كانون الثاني ٢٠١٩).

٤ -عبد الله محي الدين: الجمعيات الأهلية في لبنان، ص ٥.

من ٦٠٠٠ منظَّمة، وفق ما تشير إليه سجلَّات وزارة الشؤون الاجتماعية في لبنان[١]؛ أي إن النموَّ سجَّل زيادةً بمعدَّل أربعة أضعاف ونصف تقريبًا. وتفيد تقديرات الباحثين في مجال الجمعيَّات الأهليَّة حتى العام ٢٠٠٠ بأن نسبة المنظَّمات الأجنبيَّة العاملة في لبنان بلغت ١٥٪ من إجمالي عدد المنظَّمات غير الحكوميَّة فيه[٢].

في لبنـان، تدخَّلت المنظَّمات غير الحكوميَّة في الاحتجاجات المطلبيَّة في تشرين الأول عام ٢٠١٩، بدعم أميركي مباشر ــ بالتَّمويل والتأسـيس ــ بهدف "عزل الشَّـباب الشِّيعة" عن حزب الله و"تفكيك" القاعدة الشعبيَّة الشبابيَّة لحزب الله. وفي سياق مشروع "استقطاب شباب الشِّيعة" بعيدًا عن المقاومة، دُفعت ملايين الـدولارات من أموال دافعي الضرائب الأميركيين للمنظَّمات، واعتُمدت تكتيكات وأسـاليب "الثَّورات الملوَّنة" من استراتيجية "الفوضى الخلاَّقة"[٣] والنشاط غير العنفي في تغيير الأنظمة وإسقاط الحكومات. وعلى الرغم من فشل المشروع الأميركي الأول الذي قاده جيفري فيلتمان، السَّفير الأميركي في لبنان، (٢٠٠٤-٢٠٠٨)، في "مواجهة حزب الله" في العام ٢٠٠٥ عبر ما عُرف بـ "تكتُّل ١٤ آذار"، إثر اغتيال رئيس الحكومة اللبناني، رفيق الحريري، أعاد (فيلتـمان-Feltman) الكرَّة. بيد أن المشروع الجديد تجنَّب الهجوم المباشر على المقاومة، بعدما باء بالفشل على المستويين السياسي والشعبي، وطرح مشروع "الاختراق الاجتماعي لبيئات قوى التحرُّر"، أشـبه بتطبيق ما قاله الجنرال الفرنسي (روجر ترينكييـه- Roger Trinquier) إبَّان حرب الجزائر: "البديل هو تفريغ الإكواريوم من الماء، بدلاً من الإمساك بالسَّمكة"[٤].

٣ - تعطيلُ التَّغييرِ الحقيقيِّ والمشاريعُ المشبوهةُ

في حين يَفترض دور المنظَّمات غير الحكوميَّة عدم ارتباطها الحكوميِّ أو السياسي، لم تبقَ

---

١ - هيكل الراعي: المنظمات غير الحكومية (NGO'S) في لبنان لا تبغي الربح.. ولكن بعضها يبغي السلطة: www.aljoumhouria.com

٢ - عبد الله محي الدين: الجمعيات الأهلية في لبنان، ص٥.

٣ - الفوضى الخلاَّقة: إستراتيجية أميركية سياسية طابعها أيديولوجي، استُخدمت بديلاً عن العمل العسكري ما بعد حرب فيتنام في استهداف بيئة ما أو دولة ما. تخلق حالةَ اضطراب وخطاب شعبوي يستهدف الموروثات؛ بما يهز قناعات المجتمع وثوابته، ويضعف قدراته الذاتية، ثمَّ يُرفد بعقائد جديدة تتناقض مع تلك الأصيلة.

٤ - هادي قبيسي: الحراك وفيلتمان وشيعة لبنان: الفرصة الضائعة، www.al-akhbar.com/.

علاقة السـفارة الأميركية في بيروت بالمنظَّمات غير الحكومية طيَّ الكتمان في اسـتثمار حراك ٢٠١٩. عادة ما تُسـتخدم آليَّات مختلفـة في الوصول إلى تغيير الأفكار والقناعات في سـياق الخدمة التي تقدِّمها المنظَّمات غير الحكومية ضمن إطار البرامج السياسية الخارجية[١]، فتركِّز المنظَّمات غير الحكوميَّة على البرامج التعليميَّة والأنشطة الثقافية والإغاثيَّة. تلبِّي هذه الإجراءات بعض الاحتياجات، وهي خطوات "إنسـانية" بطابعها العام، لكـنَّ العمليَّةَ الثقافية عمليةُ تأطير للأفكار والمعتقدات التي تشكِّل السلوكيَّات بعدما تعمل على تدويرها وإعادة إنتاجها. وتحاول بعـض المنظَّمات ــ وفق أجنـدات تحدِّدها جهات التَّمويل ــ عزل الصراع عن بيئته السياسـية والاجتماعية وإخفاء القضايا المصيريَّة في الوطن خلف أخرى «قشريَّة».

دعَم السَّـفير الأميركي السـابق في لبنان، (فيلتمان) حراك العـام ٢٠١٩، إلى درجة أنه دافع عن المشروع أمام «اللجنة الفرعيَّة للشرق الأوسـط وشـمال إفريقيا والإرهاب الدولي»، التابعة للجنة الشؤون الخارجية في مجلس النُّوَّاب الأميركي، باعتبار أن أهميَّة الاحتجاجات الحاليَّة في لبنان تفوق ما جرى في ١٤ آذار ٢٠٠٥، بعد اغتيال رفيق الحريري؛ لأن «الشـيعة» انضمُّوا إليها هذه المرَّة على حدِّ قوله، ونتائج الاحتجاجات قد تؤثِّر في المصالح الأميركية بشـكل إيجابيٍّ أو سلبيٍّ[٢]. بالنسبة للسفير، الأهمِّية ليست في القضاء على الفساد الذي رفعت المنظَّمات شعارات مواجهته والقضاء عليه ومحاسبة المسؤولين عنه، وإنما المشروع هو استثمار المشاركة "الشِّيعيَّة" لهذا العنوان الجامع للانقضاض على بيئة المقاومة وحزبها السياسي في البرلمان.

دعا السَّفير السَّابق في الوثيقة التي قدَّمها أمام اللجنة إلى توظيف احتجاجات العام ٢٠١٩؛ مـن أجل تحريض الشـعب والجيش اللبنانيَّين عـلى حزب الله، وبدأت علنًـا عمليَّات الابتزاز الواضحة بربـط الدعم الأميركي للجيش والدعم الدوليِّ لاقتصـاد لبنان، بعزل الحزب ورفض سياساته داخل الحكومة، وخصوصًا المتعلِّقة بخيار المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي أو لجهة التَّحالـف مع محـور المقاومة في المنطقة[٣]. وقد اعترف السـفير (فيلتـمان)، أمام الكونغرس الأمريكي، في الوثيقة نفسـها بأن السـفارة الأمريكية أنفقت ٥٠٠ مليـون دولار في دعم "ثورة"

١ - هيكل الراعي: "المنظَّمات غير الحكوميَّة (NGO'S) في لبنان لا تبغي الربح.. ولكن بعضها يبغي السلطة".
٢ - سامي خليفة: تقرير جيفري فيلتمان الشامل: مصير لبنان بيد أبنائه: www.almodon.com.
٣ - جيفري فيلتمان: رؤية جيفري فيلتمان لتوظيف احتجاجات لبنان:www.almayadeen.net

الأرز في لبنان، خلال فترة عمله بصفته سـفيراً ما بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٨. أمَّا الهدف فهو "تشـويه صورة حزب الله، عبر الوكالة الأمريكية للتنمية ومبادرة الشراكة الشَّرق -أوسطيَّة"، على حد قوله، باعتبار أن صرف هذا المبلغ حينها يأتي في إطار "الدعم الأمريكي للبنان، بهدف تنميته وضمان استقراره".

ويمكن إجـمال أبرز الآليَّات المسـتخدمة في توظيف المنظَّمات السـياسي لحالة "حراك" تشرين الأول ٢٠١٩، في لبنان، بغية إضعاف حزب الله وتفكيك قاعدته الشعبية بالنقاط الآتية:

أ. التَّنسيق الدقيق في تجنُّب الاحتكاك بكل مثيرات الحساسيَّة الهُويَّتيَّة أو الرمزيَّة التي تسمح بالتحام الفئات المستهدفة أو تُحدث استجابةً عكسيَّة مغايرة للمطلوب. على سبيل المثال، كانت جماعات ما عرف بـ «ثورة» تشرين الأول ٢٠١٩، على اختلاف أطيافها منضبطةً باتجاه عدم الهجوم على سلاح المقاومة أو حزب الله. وكان الالتزام واضحًا ومقصودًا لما يمثِّله موضوع سلاح حزب الله من «تابو» له قدسيَّة معيَّنة عند فئات معيَّنة. وتاليًا، أيُّ هجوم على السلاح سيؤدِّي إلى التفاف قوى شعبية لا يستهان بثقلها حول عنصر الدفاع الوجوديِّ لدى الشِّيعة؛ ما سيؤمِّن مزيدًا من القوَّة لأصحاب السلاح ومزيدًا من الثقل السياسي في التوازنات الداخلية والإقليمية.

ب. تشـويه النموذج المستهدف وكسر أو نزع القدسـيَّة عنه، بما يوفِّر مسارات اختراق باتجاه استهدافه. هذا التشويه يتيح للجهة الفاعلة توجيه الاتِّهامات وكيْل الادِّعاءات دون أن تسـبِّب أيَّ ردِّ فعل غير محسـوب. وهكذا، بدلاً مـن الهجوم المباشر على سـلاح حزب الله والحزب نفسـه، يُتهم الأخير بـ «الفساد» في سـياق اتهام جميع الأحزاب والمساواة بينهم.

ج. تكريس سرديات مغايرة للواقع، أقرب ما تكون إلى عمليَّات التفاف على المشكلات الحسَّاسة، فمثلاً يبدأ الترويج لعمليَّة الحاجة إلى تمثيل شعبيٍّ «شيعي» خارج الثُّنائي الشيعي المحسوب على الحزبَيْن الشيعيَّين: حركة أمل وحزب الله.

د. استغلال الاحتجاجات، واختراقُ الإطار الاجتماعيِّ المطلبيِّ لأيِّ حراك، وتوجيهُ الحراك العابر للطَّوائف، وتضخيمُ المشكلات الاقتصادية والاجتماعية لدى الجهات المسـتهدفة، والمبالغة في تصوير الانتقادات الداخلية. في لبنان، نزل الشـعب إلى

الشارع إيمانًا منه بضرورة تغيير الطَّبقة الفاسدة ومحاسبة المسؤولين عن الفساد، لكنْ سرعان ما اتَّضح دور الأميركي في «ركوب الموجة» عبر المنظَّمات غير الحكومية، ما حرف الحراك عن مسـاره، وجعل الفشل مصيره مع انسحاب الأغلبيَّة من الشارع والتَّراجع إلى الوراء.

ه. تركيز الإعلام المحليِّ والعربي والأوروبي والأميركي على حوادثَ معيَّنة بحدِّ ذاتها، وترويـجُ المعطيات غـير الواقعيَّة، وبثُّ الأضاليل؛ بغية تحقيـق أهداف الاختراق. ركَّزت وسـائل الإعلام على الحوادث الأمنية التي رافقت فترة الاحتجاجات، كتلك التي حدثت في مناطق أساسية في الجنوب اللبناني، وخصوصيَّته في تاريخ المقاومة. فحاولت وسائل الإعلام تعبئة الفتنة وتغذيتها في منطقتَي النَّبطيَّة وصور، الأمر الذي آل إلى إحباط المخطَّط وإفشاله.

و. إدارة الحراك والسَّيطرة على اتجاهاته ضمن فلك التَّبعيَّة الأميركية منعًا من سيطرة أيِّ اتجاه تحرُّريٍّ سياديٍّ عليه من خارج المظلَّة الأميركية.

ز. تعمل المنظَّمات غير الحكوميَّة بوصفها «ناقلات فكريَّة للتأثير» في سـياق الحرب الإدراكيَّة، فتركز على إضفاء الطَّابع المؤسَّسي وفق المعايير «الليبراليَّة» فيما يخصُّ حقوق الإنسـان والحرِّيـة والقيـم الفرديَّة، في مسـار متوازٍ مـع «تضخيم مطالب المجموعات المحلِّية، وفتح المجال لقضايا جديدة، واسـتثمار الساحة الدوليَّة في إعادة صدى المطالب بطريقة أكثر منهجيَّة وتخطيطًا. ففي الوقت الذي أسهمت فيه السياسات الأميركية وبشكل أساس في انهيار العملة اللبنانية، حرَفت الاحتجاجات البوصلة عن الدَّور الأميركي باتجاه حقوق الشعب اللبناني لدى «الفئات الحاكمة»، كلِّ «الفئـات» دون اسـتثناء، حتـى يجري إسـقاط الشرعيَّة عن «حـزب المقاومة وسلاحه».

ح. سـعت المنظَّمات لنقل رَكْـب «الثَّورات الملوَّنة» إلى منطقة غرب آسـيا عبر لبنان، فأطلـق على حراك تيَّار قـوى ١٤ آذار المدعوم أميركيًّا عـام ٢٠٠٥، «ثورة الأرز»، وذلك عقب اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري؛ بذريعة المطالبة بالخروج السوري من لبنان. وكان مصير المشروع الفشل. ولاحقًا، حاولت المنظَّمات غير الحكوميَّة

الاستفادة من زخم ما اصطُلح عليه بـ «الربيع العربي (٢٠١١)[١] لتمرير مشروع ما عرف بـ "ثورة" تشرين ٢٠١٩. وقد استخدمت المنظَّمات تكتيكات "الثَّورات الملوَّنة" وآليَّاتها من رمزيَّة الألوان والموسيقى والورود وقبضة "أوتبور"[٢]، وتقنيَّات التواصل الاجتماعي والدعاية والأنشطة، والتمويل الخارجي والتدخُّل الخارجي.

خلال حراك ٢٠١٩، حاولت المنظَّمات غير الحكوميَّة وغيرها تمهيد الأرضيَّة للفرصة الأميركية في اقتناص المطالب المعيشيَّة والاقتصادية والمشاركة «الشِّيعيَّة» في الحراك لإبعاد شعب المقاومة عن قيادته، بالقدر الممكن باعتراف النَّاشطين أنفسهم. وبعدما فشل عمل المنظَّمات غير الحكوميَّة على مدى سنوات من بعد حرب تموز ٢٠٠٦، أمام صلابة الحاضنة الاجتماعية للمقاومة، وخسرت الولايات المتحدة مليارات الأموال، فشلت المنظَّمات مرَّة أخرى العام ٢٠١٩. فالشَّعب اللبناني بخصوصيَّة الهُويَّة المقاوِمة أثبت أن الإحساس بالهُويَّة والسيادة جوهر ثقافي وفكري يدفعه للتوجُّس من كل ما يرتبط بتاريخ الاستعمار وفرض السياسات الإمبرياليَّة الليبراليَّة خدمة للمصالح الأميركية على حساب المصالح الوطنية. وارتباط المنظَّمات غير الحكومية المفرط بالغرب على المستويَين الاقتصادي والسياسي يثير ذاكرة التاريخ الاستعماري؛ ليضع المنظَّمات في خانة التَّهديد، من خلال دور «الوكالة» في التهيئة لمشروع استعماري جديد يقوِّض الهُويَّة العرقيَّة والدينيَّة في المنطقة، من خلال «غربنة» مجتمعاتها[٣]. وتتفاقم خطورة "الوكالة" عندما تصبح الأدوات نفسها هي محرِّكات الاختراق والهدم والتَّبعيَّة نتيجة قولبتها الثقافية إلى الحدِّ الذي تنشر فيه تلقائيًّا المشاريع المتناقضة مع الذَّات الجمعيَّة والوعي الجمعيِّ للمجتمع الذي تعمل فيه.

ويمكن القول، إن تداعيات فشل المشروع الأميركي في إنجاح توجيه برامج المنظَّمات غير

---

١ - ينكر عميد صحافيي العرب، حسنين هيكل، مسمَّى «الربيع العربي» في حديثه لجريدة الأهرام المصرية، ويحذِّر من كونه «سايكس بيكو» جديدًا، يهدف إلى تقسيم الوطن العربي وتقاسُم موارده ومواقعه النفطية، كما يلفت في حواره إلى أن الثورات لا تُصنع ويستحيل نجاحها بالاصطناع عبر قوى وتدخلات خارجية.

٢ - قبضة أوتبور، هي قبضة اليد اليسرى للمقاومة الصربيَّة (٢٠٠٠)، ضدَّ النظام الصربي. اعتمدته عدة حركات لاحقًا، مثل حركة ١٤ آذار عام ٢٠٠٥ في لبنان، والحركة الخضراء في إيران ٢٠٠٩، وحركة ٦ إبريل ٢٠١١ في مصر، علمًا أن شعار «قبضة اليد» يتطابق مع شعار حركة «كاخ» الصهيونية التي كانت أول من اعتمده عام ١٩٧١.

3 - Steven A. Cook: "The Real Reason the Middle East Hates NGOs", foreignpolicy.com, Ibid.

الحكومية ضدَّ بيئة المقاومة واستخدامها حربةً في التغيير المطلوب، ظهرت في عدم استعادة ثقة الأميركي بتمويل المنظَّمات وتوظيفها في تنفيذ المشروع الأميركي السياسي ما بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ٢٠٢٤، معركة أولي البأس (١٧ أيلول ــ ٢٦ تشرين الثاني). واليوم، يجدِّد المشروع الأميركي محاولاته لتقويض سلطة حزب الله السياسية ومشروعيَّة سلاح المقاومة، ويمكن رصد ثلاثة فوارق:

أ. يظهر تركيز تجديد سرديَّة «حصار المقاومة» على القنوات الرسميَّة والدبلوماسية والأحزاب السياسية دون أروقة المنظَّمات غير الحكوميَّة كما في السابق. حاليًّا، بات مشروع الفتنة يُطرح علنيًّا مع أصوات سياسية وإعلامية وأخرى ناشطة ومؤثِّرة على وسائط التواصل الاجتماعي.

ب. محاولات تمرير المشروع هذه المرَّة، أن إدارة الرئيس (ترامب-Trump) مع بداية ولايته الثَّانية ودخوله البيت الأبيض عام ٢٠٢٥، قامت بتجميد عمل الوكالة الدوليَّة الأميركية للمساعدات (USAID). وهي خطوة خطيرة؛ لأنها لا توقف الدعم عن المنظَّمات غير الحكومية والخيريَّة فحسب، وإنما عن النازحين السوريين أيضًا في لبنان، ما يجعلها ورقة ضغط ورافعة للمشاريع الأميركية يمكن تحريكها عند الحاجة والضرورة.

ج. إعادة طرح السيناريوهات ضدَّ حزب الله والمقاومة وسلاحها، لكن بطابع تجديدي، بحيث إن السرديَّة الجديدة تلتفُّ على موضوع المطالبة بنزع سلاح حزب الله بالقوة، وتستبدلها بضرب مشروعيَّة السلاح.

ولمَّا كان مشروع الرِّهان على المنظَّمات غير الحكوميَّة في استهداف المقاومة في عمق بيئتها الداخلية قد خسر على مدى عقد ونصف تقريبًا (٢٠٠٥-٢٠١٩)؛ إذ تشير المعطيات الأميركية المباشِرة عن موضوع الاختراق إلى أن الولايات المتحدة قرأت التجربة السابقة جيدًا، وعلمت أن فشل عمل المنظَّمات غير الحكوميَّة في استهداف البيئة المقاوِمة سيتجدد بدوره، فقد كان الأفضل تخفيف الاعتماد عليها، أو حتى الاستغناء عنها. ومن أبرزها:

أ. على مدى السَّنوات الماضية، استندت المقاومة إلى حاضنتها الشعبيَّة الصَّلبة التي أسهمت في صناعة الصُّمود والانتصار، بيد أن الحرب الأخيرة على لبنان أكَّدت

أن الحاضنة الشـعبيَّة وعَلاقتها بحزب الله شهدت مسـارًا تطوُّريًّا مع الوقت، يفسِّر كيفيَّـة انتقال القاعدة الشـعبية للمقاومة من حالة «الاحتضـان» للمقاومة إلى حالة «الانصهـار»، بحيث أضحت البيئة هي المقاومة التـي صنعت الانتصار بصمودها وعدم تراجعها. والعلاقة بين البيئة الحاضنة والمقاومة أعقد من أن يفهمها الأميركي.

ب. إخفاق الأميركي في قراءة البيئة الشيعيَّة ــ وهي ليست بالأمر الممكن والمقدور عليه ـ لخصوصيَّاتها الثقافية والفكريَّـة في الارتكاز على مفاهيم معنويَّة هي على قطيعة معرفيَّة بالمنظومة الفكرية الغربيَّة الماديِّة.

ج. تعزيز الأمين العام لحزب الله، الشـهيد السـيد حسـن نصر اللـه لمنظومة «الوعي السياسي» لدى بيئة المقاومة على مدى عقود ثلاثة، بما يكشف التدخُّلات الخارجية وأهدافها، وتاليًا عدم جدوى دور المنظَّمات غير الحكوميَّة في تسييل برامجها.

الخاتمة

تُظهر هذه الورقة تأثيرَ ارتباط المنظَّمات غير الحكوميَّة بالمشاريع الرأسماليَّة في نشر الهيمنة ودعم عمليَّة نشر "الليبراليَّة الجديدة"، على وسم عملها بنوع من "التَّبعيَّة المبطَّنة"؛ حيث يفرض التمويل الأجنبي الأطرَ الخاصَّة بالبرامج التنمويَّة خدمةً لسياسـات الجهات المانحة. وتكشف أن الإشـكاليَّات المحيطة بعمل المنظَّمات وفق الأجندات الخارجية وعَلاقتها الوثيقة بمشاريع "الثَّـورات الملوَّنة"، زادت الهوَّة بين المنظَّـمات ومجتمعاتها المحلِّية، خاصة في المجتمعات التحرُّريـة؛ لأنها تخلـق تفاعلاً متناقضًا بين الأطـراف المحلِّية باتجاهـين متضادَّين: الانصياع والتبعيَّـة لأصحاب رؤوس الأموال الداعمين لبرامج المنظَّـمات أم التحرُّر من قيود الأجندات الخارجية الموجودة حكمًا في خلفيَّة المشاريع "التنمويَّة".

يشـكِّل التَّوظيف السياسيُّ للمنظَّمات هاجسًا واقعيًّا ومنطقيًّا في خلفيَّة ثقافة الفكر التحرُّري الرافض للتبعيَّة بمختلف مستوياتها؛ نتيجة الشواهد التاريخية الزَّاخرة بعمليَّات الاختراق الثقافي، بل "الإبادة" الثقافية، بالتوازي مع الدَّعم والتَّمويل؛ إذ تهدف المنظَّمات غير الحكوميَّة التي تعمل بشـكل واضح وفق أجندات خارجية إلى ما هو أعمق من مجرَّد محاصرة حركة مناوئة للسياسـة

الأميركية، هنا أو هناك. ولم تتراجع الولايات المتحدة منذ سبعينيَّات القرن الماضي عن سياسة زعزعة استقرار الأنظمة المعادية لسياساتها أو إسقاطها عبر تسييس المنظَّمات غير الحكومية في سياق إطلاق "الثَّورات الملوَّنة".

تتنامى سلطة المنظَّمات غير الحكومية، لكنَّ الوعي السياسي لدى الشعوب ينمو بالمقابل، وتخضع المنظَّمات للفشل أو النجاح ربطًا باختلاف السِّياقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية. وفي حين أن التَّغيير دليل على ديناميَّة المجتمعات وحيويَّتها، لكنَّ الغرق في سياسة الاستهلاك والسَّماح باستلاب الهُويَّات والتخلِّي عن القيم المعنويَّة والثقافية، يقضي على المجتمعات ويدكُّ مرتكزات بناء الحضارات. وكلَّما طرحت هذه المنظَّمات سياسات "هجينة" بعيدة عن ثقافة المجتمع الموجودة فيه تصطدم بالفشل. والفرق شاسع جدًّا بين أن تحارب المنظَّمات في المجتمعات التي تحتضنها أو تحارب لأجلها. ومع زيادة الوعي بـ"الوكالة القاتمة" التي تديرها المنظَّمات المتعاونة مع البرامج الخارجية تتهيَّأ مقدِّمات فشل المشروع التغييري، وإن كان حقيقيًّا؛ لأن دونه التدخُّلات والتَّمويل والتَّشويه والاستثمار وغيرها من سياسات الاختراق والتعمية والتسلُّل.

المصادر والمراجع

المراجعُ باللغةِ العربيةِ

كتب

- أحمد فرج: العولمة والإسلام والعرب، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ٢٠٠٤.
- ديفيد هارفي: الليبرالية الجديـدة (موجز تاريخي)، ترجمة مجاب الإمام، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة العربية ١، ٢٠٠٨.
- عبد الله محي الدين: الجمعيات الأهلية في لبنان، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- وليد عبد الحي: انعكاسـات العولمة على الوطن العربي مركز الجزيرة للدراسـات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ضمن سلسلة أوراق الجزيرة ٢١، بيروت، ط١، ٢٠١١.

مقالات

- أسـماء فريد الرجـال: «دور المنظَّمات غـير الحكوميَّة في حماية الحقـوق الاجتماعية»، دراسات في حقوق الإنسان، مصر، د.ت. موجود على الرابط التالي:
https://hrightsstudies.sis.gov.eg/%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D988%%D8%AA%D982%%D8%A7%D8
- جيفـري فيلتمان: "رؤية جيفري فيلتـمان لتوظيف احتجاجات لبنـان". بروكينغز. ترجمة الميادين. ٢٠١٩/١١/٢٢. متوفر على الرابط التالي:
https://www.almayadeen.net/press/foreignpress/1362345/%D8%B1%D8%A4%D98%A
- حسـن جوني: المنظَّمات غير الحكوميَّة وانعكاسـها على الواقع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان، مجلة الجيش، العدد ٨٩، الموقع الرسمي للجيش اللبناني، تموز ٢٠١٤. متوفر على الرابط التالي:
https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/%D8%A7%D984%%D985%%D986%%D8%B8%D%85

- سـامي خليفـة: "تقريـر جيفـري فيلتـمان الشـامل: مصير لبنـان بيـد أبنائـه". المدن. ٢٠١٩/١١/٢٠. متوفر على الرابط التالي:

https://www.almodon.com/politics/201920/11//%D8%AA%D982%%D8%B1%D98%A%D8%B1

- سعيد محمد، "كيف تصنع ثورة؟ ... سيرة مُلهِم الثورات الملوَّنة»، الأخبار، ٦ تشرين الثاني ٢٠١٩. متوفر على الرابط التالي:

https://al-akhbar.com/Literature_Arts/278937

- هـادي قبيـسي: "الأدوار الخفيَّة للمنظمات غـير الحكوميَّة". مركز المعارف للدراسـات الثقافية. ٢٠١٥/٩/٣. متوفر على الرابط التالي:

https://almaarefcs.org/4402374/

- هادي قبيسي: "الحراك وفيلتمان وشيعة لبنان: الفرصة الضائعة". الأخبار. ٢٠١٩/١١/٢٦. متوفر على الرابط التالي:

https://www.al-akhbar.com/Opinion/279974/%D8%A7%D984%%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D983%

- هيكل الراعي: "المنظمات غير الحكومية (NGO'S) في لبنان لا تبغي الربح.. ولكن بعضها يبغي السلطة". الجمهورية.
- ٢٠٢٢/٢/١١. متوفر على الرابط التالي:

https://www.aljoumhouria.com/ar/news/635915/%D8%A7%D984%%D985%%D986%%D8%B8

اللغةُ الأجنبيةُ

مقالات

- Abey Francis: "History and Development of Non-Governmental Organizations (NGOs)". MBA Knowledge Base. Available at: https://www.mbaknol.com/general-business-articles/history-and-development-of-non-

governmental-organizations-ngos/

- Devon Douglas-Bowers: "NGOs: Missionaries of Empire". Foreign Policy Journal, 102012/3/. https://www.foreignpolicyjournal.com/201210/03//ngos-missionaries-of-empire/
- Dinyar Godrej: "NGOs - do they help?". New Internationalist. 12014/12/. Available at: https://newint.org/features/201401/12//ngos-keynote
- James McGann, Mary Johnstone: "The Power Shift and the NGO Credibility Crisis", International Journal of Not-for-Profit Law .January 2006. Available at: https://www.globalpolicy.org/component/content/article/17631423/.html
- John Glenn: "Democracy Assistance and NGO Strategies in Post-Communist Societies". 12000/2/. Available at: https://carnegieendowment.org/research/200002//democracy-assistance-and-ngo-strategies-in-post-communist-societies?lang=en
- Margaret P. Karns: "nongovernmental organization". Encyclopedia Britannica. 32024/9/. Available at: https://www.britannica.com/topic/nongovernmental-organization
- Patrick Henningsen: "MIDDLE EAST: The CIA Operating behind a Web of "Pro-Democracy" NGOs. Strange Bedfellows: How the U.S. and Egypt control the destiny of the region". Centre for Research on Globalization. 202012/3/. Available at: https://www.globalresearch.ca/middle-east-the-cia-operating-behind-a-web-of-pro-democracy-ngos/29864
- Rob Acker: "Five ways the Fourth Industrial Revolution will transform NGOs". Weforum. 252017/1/. Available at: https://www.weforum.org/agenda/201701//the-top-five-ways-the-fourth-industrial-revolution-will-

transform-social-good-organizations/

- Sreeram Chaulia: "Democratisation, NGOs and "colour revolutions". openDemocracy. 192006/1/. Available at: https://www.opendemocracy.net/en/colour_revolutions_3196jsp/
- Steven A. Cook: "The Real Reason the Middle East Hates NGOs". 72018/6/. Available at: https://foreignpolicy.com/201807/06//the-real-reason-the-middle-east-hates-ngos/
- Thomas Elkjer Nissen: "Social media's role in 'Hybrid Strategies'". NATO Strategic Communications Centre of Excellence, 2016. Available at: https://stratcomcoe.org/publications/social-medias-role-in-hybrid-strategies/179
- NGOs: "what they are, origin, how they are formed, classification". Ferrovial. Available at:
- https://www.ferrovial.com/en/resources/ngo/
- NGO's: "Introduction, History, Role, functions, Importance". Sociology group. Available at:
- https://www.sociologygroup.com/ngos-introduction-history-role-functions-importance-development/#:~:text=NGO%E299%80%s%20are%20bodies%20which%20function
- The CIA's successors and collaborators: "US: overt and covert destabilization". Le Monde Diplomatique, August 2007. Available at: https://mondediplo.com/200704/08/ned

مجلَّاتٌ علميَّةٌ

- David Lewis: "Non-governmental Organizations, Definitions, and

History". In: List, R.A., Anheier, H.K., Toepler, S. (eds) International Encyclopedia of Civil Society. Springer, Cham. 2023. Available at: https://doi.org/10.10071-3_2-99675-319-3-978/

- Ellen B. Laipson: "Can the USG and NGOs Do More? Information-Sharing in Conflict Zones". Center For Studies in Intelligence. Vol. 49 No. 4. 2005. Available at: https://www.cia.gov/resources/csi/studies-in-intelligence/volume-49-no-4/can-the-usg-and-ngos-do-more/
- James Brown: "Resistance International: Soviet Dissidents, US Conservatives, and Cold War Anti-Communist Internationalism, 198393-". Tandfonline. Cold War History 24 (4). November 2023. doi:10.108014682745.2023.22/53756. Available at: https://www.tandfonline.com/doi/full/10.108014682/745.2023.2253756
- Nikos Marantzidis and Giorgos Antoniou: "The Axis Occupation and Civil War: Changing trends in Greek historiography, 1941–2002". Journal of Peace Research. (2004).
- Orysia Lutsevych: "How to Finish a Revolution: Civil Society and Democracy in Georgia, Moldova and Ukraine". The Royal Institute of International Affairs. Chatham House, London. January 2013. Available at: https://www.chathamhouse.org/sites/default/files/public/Research/Russia%20and%20Eurasia/0113bp_lutsevych.pdf
- Riad Makdissi, Ziad Kaddour, Selim Mekdessi: "Impact of funding difficulties on the
- Sustainability of Lebanese Non-Governmental Organizations". IOSR Journal of Economics and Finance (IOSR-JEF), Volume 13, Issue 6 Ser. IV (Nov. – Dec. 2022). Available at: https://www.researchgate.net/publication/366905625_

Impact_of_funding_difficulties_on_the_Sustainability_of_Lebanese_Non-Governmental_Organizations

- W. E. DemMars: "Hazardous Partnership: NGOs and United States Intelligence in Small Wars. International Journal of Intelligence and Coun terIntelligence. 2001.14(2). https://doi.org/10.1080088506001300063154/